

## دور الأسرة في النمو المعرفي للطفل

د. آسيا عبد الله- جامعة وهران 2

\*\*\*\*\*

### المقدمة :

إن تنشئة الطفل لا تقتصر على الأسرة وحدها بل تساهم فيها إلى جانب الأسرة مختلف المؤسسات الاجتماعية والتربوية لكن كون الأسرة تمثل نواة المجتمع التي تكفل له إستمارة واستقراره، وتقوم بالتنظيم والمحافظة على السلالة البشرية بالطريقة الشرعية إضافة إلى عدة أدوار لا يستهان بها، ومن هذه الأدوار المنوطة للأسرة تقتصر هذه الدراسة على دور الأسرة في النمو المعرفي للطفل خاصة وأن العصر الحديث يتسم بالتطور السريع للعلام وكذلك عصر تنامي الاهتمام بالطفل على نحو لم تعرفه العصور السابقة.

إن كل المجتمعات ترعى الأسرة قبل وبعد أن تتكوّن فقد عمدت الجزائر إلى تقنين قوانين تساهم في التطور الاجتماعي وتساهم في تكوين أسرة سليمة من العيوب والأمراض الوراثية المزمنة بتخصيصها أقسام علاجية خاصة بحماية الأمومة والطفولة، وتسعى الأسرة جاهدة على تحقيق هدف اجتماعي نبيل ونمو سليم للطفل في صورة متكاملة وتبحث عن أفضل الأساليب لتطوير قدرات الطفل وتوفير الأرضية التكوينية والإندماج وتفرد لها أهمية خاصة باعتباره صانع الأجيال المستقبلية.

إن معالجة هذا الموضوع يعتبر كحلقة أولى في سلسلة من الدراسات التي تساهم في حل إشكالية النمو المعرفي عند الطفل. إن هذا الموضوع ومعالجته كانت نتيجة لدراسة ميدانية على عينة تكونت من 100 طفل محاولا الإنطلاق من الواقع والشعور بضرورة الشروع في العمل من أجل تحسين دور الأسرة في هذا المجال محتوى وأسلوبا، وإثارة إنتباه المسؤولين والمواطنين إلى الدور الفعال للأسرة في مجال تكوين وتنمية معارف الطفل في مختلف المجالات الحياتية.

**Abstract:** This study aims at the contribution of the family to the growth of knowledge in the child , which reflects positively on his school life. The study included a sample of 100 children randomly distributed to different neighborhoods , trying to escape from reality and feeling a sense of work in order to improve the role of the family , especially the role of father and mother in the process of cognitive growth. The study resulted in the following conclusions and suggestions:

- The growth of knowledge of child is related to the social status.
- Friction of the child in his family affects him positively in his cognitive development especially in the girls. The family must stimulate the child's motivation.

## تعريف الأسرة

أختلف الباحثون في استخدام مفهوم الأسرة أو العائلة بما يقابلها في اللغة اللاتينية (la famille) فمنهم من استخدم مصطلح الأسرة<sup>1</sup> بينما نجد فريق آخر استخدم مفهوم العائلة سواء في مؤلفاتهم<sup>2</sup> أو تراجعهم<sup>3</sup>، في حين أنّ هناك فريق ثالث أستعمل مصطلح الأسرة و العائلة في آن واحد<sup>4</sup>.

يعرف نوبرت سيلامي (NORBERT. S(1980) العائلة على أنّها: "مجموعة أشخاص تجمعهم روابط الزواج و الدم والتربية ، يعيشون معا في بيت واحد أو إذا كانوا متفرقين فلهم بيت مشترك"<sup>5</sup>

بينما يعرف العائلة الباحث نيمكوف NIMKOFF منذ سنة 1947 على أنّها: " أنّ العائلة تتكوّن من الزوج والزوجة والأطفال أو من غير الأطفال، وقد تتمتع بصفة الديمومة والبقاء أو تتكوّن من الزوجة والأطفال وذلك في حالة الوفاة أو الطلاق"<sup>6</sup>.

أما علي عبدالواحد (1966) فيعرف العائلة على أنّها: " أول وسط طبيعي و اجتماعي للفرد وتقوم على مصالحات يرتضيها العقل الجمعي، وقواعد تختارها المجتمعات. فنظام الأسرة في أمة ما يرتبط ارتباطا وثيقا بمعتقدات هذه الأمة وتاريخها وعرفها الخلقي وما تسير عليه من نظم في شؤون السياسة والاقتصاد والقضاء ". كما تعرف الأسرة على أنّها اللبنة الأساسية التي ينمو فيها الطفل، وهي تتكوّن من زوج وزوجة وأطفال أو بدون أطفال تربطهم علاقات ودية ومادية مستمرة.

## وظائف الأسرة:

أرصدت المجتمعات على تحميل الأسرة بعض الأدوار في تربية وتنشئة الأجيال لما تقتضيه متطلبات الحياة المتغيرة من زمن لآخر ومن بلد لآخر بل في الوطن نفسه، وعلى هذا يمكن القول أنّه تتجلى وظائف الأسرة في المهام التالية:

1. الوظيفة البيولوجية: تتجلى هذه الوظيفة في المحافظة على النسل البشري بالتناسل المشروع شرعا وقانونا عن طريق الزواج<sup>7</sup>.

2. الوظيفة التربوية أو البعد التربوي: تلعب الأسرة دورا عظيما في تنشئة الطفل فتعمل على نموه وتنشئته الإجتماعية والتربوية وإعدادة لمقتضيات المستقبل، ولا بدّ على الأسرة من معرفة

<sup>1</sup> مصطفى فهد: سيكولوجية الطفولة والمراهقة. مكتبة مصر، القاهرة. الطبعة الثالثة. 1961. ص 328.

<sup>2</sup> أطوان رحمة: أثر معاملة الوالدين في تكوين الشخصية. دراسة موضوعية في الجمهورية العربية السورية. مطبعة دار الحياة دمشق. 1965. ص 42 - 47.

<sup>3</sup> أكرم نشأت إبراهيم: علم الاجتماع الجنائي. الطبعة الثالثة، بغداد. 1970 ص 3.

<sup>4</sup> بول. هـ. لانديس و جون ماير: التكيف الإجتماعي للأطفال ترجمة السيد محمد عثمان . مكتبة النهضة المصرية. الإسكندرية (د.ت) ص 89.

<sup>5</sup> NORBERT SILLAMY: Dictionnaire de Psychologie. AK. Bordas . Paris 1980. P 475.

<sup>6</sup> NIMKOFF ، MEYER F: Marriage and Family. (Boston Houghton. Mifflin Company. 1974.

<sup>7</sup> هاشمي أحمد: الأنماط التربوية الأسرية والأنماط السلوكية للطفل. دكتوراه الدولة، إشراف د/ ماحي إبراهيم. جامعة وهران. (غير منشورة). 2003/2002. ص

ومعاينة الظروف التي تتمّ فيها التنشئة الاجتماعية والأساليب المستخدمة في هذا المجال، وتوجيه النشء الوجهة السليمة. وفي هذا المجال يرى فكري شحاته في مؤلفه الدور التربوي للأسرة، في أنّه يمثل الدور التربوي للأسرة في تعليم إطار واسع من أنماط السلوك والقيم والاتجاهات والمشاعر والمعارف.

3. الوظيفة الاجتماعية: تلعب الأسرة دورا فعّالا من خلال التنشئة الاجتماعية التي تزوّد بها الطفل من حيث التنميط الاجتماعي والثقافي والقيّم والعادات ولغة المجتمع وتعمل على الوصول به إلى إدراك ذاته. وأنّ الأسرة إذا ما أخذت عن الأدوار المفروضة عليها اجتماعيا اتجه النشء فتحدث انعكاسات سلبية على أفرادها وعلى المجتمع بصفة عامة. فإن قامت بواجبها على أفضل وجه اتجه الأجيال الناشئة من حيث التنشئة والتربية والتعليم وتزويدهم بالمبادئ والقيم والأخلاق... وتحديد الأدوار لكلّ منهم وحسب قدراتهم فبذلك تعدّ الأجيال للمستقبل إعدادا سليما وصحيحا.

#### دور الأسرة في النمو المعرفي لدى الطفل:

تعمل المجتمعات على الاهتمام بالنشء لكونه القوى التي يعتمد عليها في تطوره ورفيّه. ولذا فإنّ المجتمعات تعمل على تربية وتعليم الأجيال وخلق الفرص التي يتأتى منها نموهم وتطوّرهم في جميع المجالات وعبر مراحل عمرهم المتلاحقة.

وعلى هذا الأساس فإنّ المجتمع أولى العناية بالنشء لتحقيق أهدافه بعيدة المدى دون التفرقة بين الأطفال من كانوا يعيشون في كنف أسرهم أو من فقدوها أو من لم تكن لهم أصلا واهتمت بهم الدولة وأدمجتهم في مؤسسات إيوائية متخصصة سواء كانوا ذكورا أو إناثا صغارا أو كبارا في تقديم لهم الرعاية والتربية بل التكفل بهم بصفة عامة لأنّ من أولويات المجتمع التكفل بالنشء بصفة عامة من الناحية الاجتماعية و الفيزيولوجية والنفسية و العلائقية والعقلية والمعرفية... ولتحقيق هذه المساعي النبيلة فإنّ المجتمع أستعان بالأخصائي الكفاء النفساني والتربوي والاجتماعي لتقديم خدماته لطفل المؤسسة لتمكينه من تخطي كلّ الأعباء والعراقيل تبعا لتطور الأحداث الاجتماعية.

وفي هذا المجال يرى كلّ من محمد إقبال وسلمى محمود<sup>1</sup>: " إنّ رعاية الطفولة تهدف إلى رفاهية الأطفال التي هي هدف كلّ نشاط مبدول من أجل الطفولة ".

وهذا ممّا يوضح أنّ الطفل سواء كان يعيش بين أهله وذويه أو كان يعيش في مؤسسة إيوائية فكلّاهم يعيشان طفولتهما، ولذا فإنّ الرعاية ينبغي أن تكون هادفة إلى رفاهية الطفولة حتى يتسنى لكلّ طفل من التمكن من العيش السليم وهذا مما يؤثر عليه إيجابا في تكوين ونمو شخصية الطفل.

<sup>1</sup> محمد إقبال وسلمى محمود جمعة: الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية، (د.ت). ص 192.

كما يرى حنا غالب (1965)<sup>1</sup>: "أن لكل فرد قيمة واستحقاقا وكرامة لا يمكن إنتهاك حرمتها وله الحق في التربية والتعليم والتمتع بتراث الأمة، واكتساب العلوم والمعارف الممكن تحصيلها ولا سيّما مهارات التفكير العلمي السديد الفردي والجماعي المدعوم بالأدلة الصحيحة".  
إنّ الجو الثقافي للأسرة له الدور الفعّال في تربية الطفل ونمو معارفه بصفة عامة.

ويرى جون لو كاميس JEAN LE CAMUS (1997)<sup>2</sup>: "أن نمو الطفل الاجتماعي والشخصي يمر من خلال التربية داخل الوسط الأسري ثمّ من خلال التربية خارج الوسط العائلي. وهذا المنظور مخالف لما كان سائد خلال سنوات 1960/1965 التي كان سائدا فيها الاعتقاد أنّ الحياة الاجتماعية تبقى تحت مسؤولية الأمّ في حين أنّ الأمّ تتقاسم الحياة الاجتماعية مع الآخرين".  
الأسرة هي الرابطة الأساسية في المجتمع وهي الوعاء الذي يتشكّل فيه الوليد البشري وما يتأثر به من خلال التنشئة الاجتماعية وما ترمي إليه إذ أصبحت للأسرة وظائف وهي ملزمة على الامتثال لها والقيام بها للمحافظة على بقاء المجتمع واستمراره.

كما أجمع العلماء والباحثين على دور الأسرة وأثرها العميق في تنشئة الأطفال في كونها البيئة الاجتماعية الأولى التي يتفاعل فيها الطفل قد تطول المدة أو تقصر وهذا لبقاء الطفل بها من عدمه، وخاصة أنّ السنوات الأولى من حياة الطفل هي الأساس في اكتساب الصفات والخصائص الاجتماعية الأساسية والدعائم الأولى للشخصية وأساليب التوافق وهذا ما أتفق عليه جلّ الباحثين في هذا المجال.

ويؤكد علماء الاجتماع على أهمية العلاقة بين الطفل والأسرة: "الأسرة هي أصلح بيئة لتربية الطفل وتكوينه. فالصلة بين الوالدين والطفل أقوى ما تكون بينه وبين أيّة جماعة أخرى. ولذلك كانت نشأته مع والديه خيرا وسيلة لتهديب انفعالاته وتكوين خلقه، غير أنّ جهل الأسرة قد يكون سيء النتائج"<sup>3</sup>.

كما يؤكّد علماء النفس والاجتماع والبيولوجية على دور الأسرة في نمو الطفل وتعزيز أحاسيسه بالأمن والقبول منها، وأنها تساهم في نمو قاعدته المعرفية المعلوماتية بشكل كبير. يكتسب الطفل معارف جديدة بصفة دائمة ومستمرة وهذا الكم الكبير من المعلومات يجعل من الضروري على الأولياء متابعتة باهتمام وتصويت الخطأ منه. والأسرة هي المؤسسة التي تعنى بالطفل وحدها عدة سنوات قبل أن تشاركها المدرسة<sup>4</sup>. وهذا ما تؤكد عليه الباحثة كود انيف: "GOOD ENOUGH" أنّ ثمة دلائل على أنّ نصف البناء العقلي للفرد يتم خلال السنوات الثلاث الأولى من الحياة، والسنوات قبل المدرسة وأعوام المدرسة الابتدائية تمثّل الفترة التي

<sup>1</sup> حنا غالب: التربية المتجددة وأركانها. مطبعة عيناني الجديدة، بيروت، لبنان. 1965. ص 112.

<sup>2</sup> Jean le Camus et Florence: Le Rôle du Père dans le Développement du Jeune Enfant. Abrelle : Edition NATHAN. 1997. Page 113.

<sup>3</sup> صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد الحميد: التربية وطرق التدريس. الجزء الأول. الطبعة 12، دار المعارف، القاهرة. مصر 1976. ص 87.

<sup>4</sup> نعيم الرفاعي: الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف. مطبعة طرين، دمشق، الطبعة 3. 1969. ص 414.

يتمّ فيها أسرع النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي<sup>1</sup>. ويرتبط بموضوع اتساع القاعدة المعرفية عند الطفل التغيّر السريع الذي يشهده هذا الطفل في محيطه من اهتمام الأمّ والأب والإخوة والأخوات به ممّا يساعده على تعلّم اللغة. فيبدأ الطفل كرضيع في تقليد الأصوات المسموعة ويستجيب لها معبرا عن سروره ورضاه أو ضيقه وذلك ابتداء من الشهر التاسع. كما تظهر الكلمة الأولى في هذا الشهر فيبدأ الرضيع بنطق الحروف الحلقية (أ. أ) ثم حروف الشفه (م. ب. ب) ثم يجمع بين الحروف الحلقية وحروف الشفه (ماما، بابا) ثم تظهر الحروف السنية (ذ، ت) ثمّ الأنفية (ن) ثم تأتي مرحلة المعاني ترتبط بالحروف والكلمات معان محدّدة فمثلا تصبح للكلمة ماما معنى مميز للأمّ<sup>2</sup> وهذا نتيجة للإحتكاك والتفاعل بالأمّ والأب والإخوة ...

وفي هذا المجال يرى جون كاميس (1997) Jean le Camus: "إنّ علماء النفس يقرّون على أنّ السنوات الأولى تعرف بسنوات الأمّ (L'age de la mère) لما له من تأثير فعّال في نمو الطفل بصفة كليّة ثم تأتي فترة عمر الأب (L'age du père) لما لهذا من وظائف حاسمة وأولية في التكوين النفسي العاطفي للطفل وخاصة في إطار تكوين شخصية الطفل ويكون لها تأثيرا جليا في الطفولة المتوسطة والمتأخرة وتبقى الأمّ كوساطة ضرورية وأنّ الطفل يقارن بين الأب والأمّ كموضوع خصوصي<sup>3</sup>.

تعتبر الأمّ المصدر الأساسي في مجال النمو المعرفي عند طفلها ثمّ يتدخل الأب ثم الإخوة وتتأثر العلاقة أم/طفل سلبا أو إيجابا على نموه اللغوي والمعرفي. وأنّ الإتصال الاجتماعي يزيد من المحصول المعرفي، وفي هذا المجال نجد ريلسكي وهانكس (1971) REBELSKI and HANKS: "أنّ الإتصال اللغوي عند الرضيع يكون معظمه مع أمّه، أما مع أبيه قليلا خاصة في الشهور الأولى من العام الأول. كما أنّ لظروف البيت الذي يعيش فيه الطفل لها آثار بيّنة على نموه المعرفي".

وترى فلورانس لبرال Florence Labrell<sup>4</sup> أنّه ابتداءً من سن ثلاث سنوات يصبح الطفل قادرا على إستعمال اللّغة بصفة عادية خلال المحادثة وتتطوّر بشكل واضح وتصبح الجملة معبرة وذات دلالة من حيث المفهوم الذي يقصد منها وأنّ المفردات تزداد رغم وجود لغة مكتسبة من العائلة قبل هذا السن وخاصة قبل سن الثانية من العمر لكونها مرحلة التحصيل اللغوي نظرا لأنّ الأمّ تتكلّم مع طفلها منذ الوهلة الأولى من الحياة رغم أنّه لا يفهمها ولا يجيبها،

<sup>1</sup> كودانيف نقلا عن فاخر عاقل: علم النفس التربوي. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1978. ص 114.

<sup>2</sup> حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) عالم الكتب. الطبعة الرابعة. (د.ت). ص 139 - 142.

<sup>3</sup> JEAN LE CAMUS: Le rôle du père dans le développement du jeune enfant. Editions NATHAN France. 1997. Page 3.

<sup>4</sup> J. L. CAMUS & FLORENCE Labrell : Le Rôle du père dans le Développement du Jeune Enfant .Edition NATHAN. France. 1997. P P 9 – 11.

وأن لغة الأم تأخذ بشكل خطاب موحد بغض النظر إن كانت أما أو مربية. وأن الأمهات ينشئن أكبر كمية من اللغة أو الكلمات وهذا ما أثبتته الدراسات أن الأمهات يتحدثن إلى أطفالهن أكثر من الآباء. ويرى لاروش (1981) Laroche أن محتوى حديث الأم أولوي من حيث الهيكل والمحتوى.

وتجدر الإشارة إلى التنويه بالإتجاه العلائقي فالطفل يتّجه نحو من يحمله بين ذراعيه ويلمسه ويغمده بالعطف والحنان وهذا يكون للآم رغم وجود الأب لكن هذا لا يعني أنه ليس للأب دور علائقي لكن علاقة طفل/أب ضرورية وأقل من علاقة الطفل بالأم وهذا أمر نفسي عاطفي<sup>1</sup>. يرى فرويد FREUD أن تعلق الطفل بأمه مرتبط بإشباع الأم لرغباته الغذائية في حين يتبنى بولبي BOWLBY في نظريته (نظرية التعلق في الخمسينيات) اتجاه مغاير إذ يرى أن علاقة طفل/أم علاقة طبيعية وهذا بفضل الاتصال الاجتماعي وهذه الحاجة تصبح كحاجة أولية وفي نفس المستوى مع الحاجات الأخرى<sup>2</sup>.

كما يلاحظ أن يحدث تغيير رئيسي في طبيعة العلاقات بين الأطفال إبتداء من سن ثلاث سنوات مصحوبة بالحوار وبتزايد، وأن التقليد يأخذ مكانة مرموقة ويصبح الطفل يشكل زمرا مما يؤثر على نموه المعرفي ويزداد تقدم ملحوظ في كفاءة الإتصال.

وتجدر الإشارة أن الأب يتدخل بصفة مغايرة في الحديث حين يكون أمام طفله ذكرا أو أنثى وهذا يؤثر بصفة غير مباشرة على المستوى الاجتماعي للطفل.

كما يلعب الأب الدور الفعّال في التنميط الجنسي للطفل وتكوين شخصيته، وأن الطفل يقلد المواضيع من نوع جنسه وهذا مما يسمح له بتخزين السيرات والأحاديث وهذا ما أكدته دراسة أمريكية في سنة 1970 حين اهتمت بدراسة الخصائص الكمية والنوعية للعلاقة أب/طفل وتأثير ذلك على النمو المعرفي والنجاح المدرسي.

وأثبتت النتائج أن التحرر الوظيفي المرغوب فيه من طرف الأب يمنح بصفة عامة النمو المعرفي للطفل. ومن جهة أخرى، فإن غياب الأب تنتج عنه آثار على النجاح المدرسي مرتبطة بمدّة الغياب قصيرا كان أو طويلا أو بسبب الطلاق أو الموت مع جنس الطفل.

بينما يرى برتون و توماسيلو Tomasello et Barton (1994) أن الإخوة والأخوات الكبار يقومون أيضا بتدعيم إخوانهم الصغار بالوظيفة اللغوية ويساهمون في إختيار مواضيع المحادثة ، وأن الأب يعطي إتاما لوسائل الإتصال الأكثر تعبيراً لغويا وهذا بفضل المكتسب اللغوي إلا

<sup>1</sup> J.L CAMUS & F. LABRELL: le rôle du père dans le développement du jeune enfant ( IDEM) P P 73 – 98

<sup>2</sup> CATHERINE .T & MICHEL. G : Introduction à la Psychologie du Développement Du bébé à l'adolescent. Armand Colin. Editeur Paris. 1994. P P 76 – 86.

أنهم أقل معايشة للطفل كالأب له لذا فإنّ الطفل أصلا يتمثل لغة الأم رغم أنه يعيش في وسط مزدوج<sup>1</sup>.

كما أنّ للأب دور فعّال في النمو الاجتماعي الشخصي للطفل خلال المرحلة العمرية الأولية للطفل وهذا بغية التأكد من التشكيلات والاندماج الاجتماعي وتكوين الفردية وبناء الذات وهذا بفضل التربية داخل الأسرة.

كما تلعب الأسرة دور المجيب عن تساؤلات الطفل حتى تمكنه من الإلمام بالمواضيع ومعرفة وفي هذا الصدد يرى ساكس وستولاك (1974) Saxe and Stollak<sup>2</sup>: "ينمو الإستطلاع عند الطفل ويزداد لديه كلما كانت مشاعر الوالدين نحوه إيجابية ومحاذيرهم بالنسبة لسلوكه قليلة وكلما أهتمما بتقديم الجديد للطفل واهتما باستطلاع الجديد حتى يقلداهما، وهذا لما للتفاعل اللغوي من تأثير حيث تلعب اللغة دورا كبيرا وهاما في نمو المفاهيم والسلوك الاجتماعي والمعرفي عند الطفل<sup>3</sup>.

يعطي جيروم برونر أهمية كبرى للغة في تطوير الإمكانيات العقلية عند الطفل إذ يقول: إنني أعطي اللغة مكانا أساسيا عند دراسة طبيعة المعرفة.

إن اللغة تساعد على نمو الفكر، وبمساعدة اللغة ينظّم الطفل إدراكه للعالم المحيط به، ويشكل نموذج هذا العالم ويبقيه في ذاكرته ويستخدمه في المواقف العملية، ويعود القصور في النمو العقلي بالدرجة الأولى إلى الطفل حين لم تكن لديه في طفولته الأولى الإمكانيات الكافية لأن يتعلّم أو يساهم في حوار، وأن يسترجع ما سمعه، ويستخدم الكلام كوسيلة للتفكير<sup>4</sup>. نستشف أنّ برونر حين يتحدّث عن النمو المعرفي فإنّه يعلّق أهميّة كبرى على النمو الكلامي عند الطفل في مراحل حياته الأولى لكونها الأداة الأساسية التي تعتمد عليها الوظائف النفسية العليا كاللتفكير والذاكرة والإدراك والتخيل...

أما ألكسي ليونتييف (1975) فيرى: "أنّ الطفل منذ ولادته يلقي نفسه في وسط تراث ضخم من الخبرات والتجارب التي يجب عليه أن يستوعبها ويمتلكها"<sup>5</sup>. وأنّ هذا الأمر سوف يتمكّن منه تدريجيا عبر أطوار التنشئة الاجتماعية وباللغة يزداد دورها في نمو الإمكانيات المعرفية

<sup>1</sup> Jean Le Camus: Le Rôle Du Père Dans Le Développement Du Jeune Enfant. Editions NATHAN France. 1997. P. P 58 – 71

<sup>2</sup> SAXE R. MARD & STOLLAK .G.E: Generosity and The Parent.- Child Relation Ship . Child Develop 1971. P .P 373 - 384.

<sup>3</sup> مرسي أحمد وكوثر كوجيك : تربية الطفل فيل المدرسة. عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1987. ص 164

<sup>4</sup> جيروم برونر: عملية التربية أو نحو تربية سليمة. ترجمة سامي عاشور. مكتبة النهضة المصرية (د.ت) ص 122.

<sup>5</sup> A. LEONTIEV: Activité , Conscience , Personnalité. Traduit Du Russe par GENEVIENE DUPND , Educations du Pragées URSS. 1984. P P 81 – 89.

للطفل مع اتساع دائرة نشاطه وعلاقته ويتم ذلك بفضل فعالية الطفل ونشاطه، وتوجيه هذا النشاط وتلك الفعالية وتنظيمها من قبل الراشدين<sup>1</sup>.

قام لوتري (1980) LAUTREY بدراسة حول مساهمة الجو الأسري في النمو المعرفي فافترض أن الجو الأسري (في مواجهة قواعد السير والعادات الخاصة بتنظيم النشاط اليومي) سيكون إيجابيا في النمو المعرفي في البعدين التاليين:

- عنصر إضطراري بمعنى أنه يعطي قوى إلى سكيما التمثيل للموضوع.

- يعطي بصفة دائمة ظروف مواتية لإعادة التوازن للظروف.

إنّ الوسط المساعد على النمو المعرفي الذي يمثل في وظائفه المتكررة هاتان العمليتان هما الوسط المهيأ والبسيط<sup>2</sup>. وهذا ما يتفق مع رأي فتحي الديب (1987): "إنّ ظروف البيت الذي يعيش فيه الطفل لها آثار بيّنة على النمو المعرفي للطفل"<sup>3</sup>. وذلك أنّ الأسرة تسعى إلى تعلّم أطفالها الإحتفاظ بما تعلّموه واستغلاله في مجالات أخرى للإتصال والتعامل بها في مواقف أخرى.

وترى كلودين وآخرون (1994): "أنّ الوسط العائلي للطفل هو الوسط الأفضل لتوافقه وخاصة في الشهور الأولى من الحياة"<sup>4</sup>. وأنّ نظام جهاز الرضيع يمكنه من اكتساب معارف ومعلومات وهذا من خلال الدور والعلاقة بالبيئة التي لها الفعالية في التوظيف اليومي تمثل هذه السلوكيات، وأنّ الطفل هو المستهلك الأكثر للمعلومات وهذا بفضل التعلّم والاحتكاك، ومن الواضح أنّ معارف الطفل منظمّة وفقا لميكانيزمات معرفية تظهر منذ الشهور الأولى من حياة الطفل<sup>5</sup>.

ويرى سارج لبوفيسي (1995) SERGE Lebovici وآخرون: "أنّ العلاقة القائمة بين الأولياء وأطفالهم أصبحت معروفة حاليا بذات الأهمية والحيوية العاطفية للأسرة ومدى تأثيرها في نفسية الطفل وتوافقه أو من عدمه ومدى اهتمام الأولياء به وخاصة في علاج الطفل"<sup>6</sup>. يرى فيجوتسكي: "أنّ الظواهر النفسية عامة، والعمليات العقلية المعرفية خاصة تتكوّن وتنمو ضمن الشروط الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل"<sup>1</sup>. وهذا ما يوضّح ويحصر دور الأسرة الفعّال في النمو النفسي والمعرفي عند الطفل.

<sup>1</sup> أ.أ. لوبلو بلينسكيا : علم نفس الطفل. ترجمة بدرالدين عامود وعلي منصور. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق. 1980. ص ص 85 – 93.

<sup>2</sup> C. TOURETTE & M. GUIDE: Introduction à la Psychologie du Développement du bébé à l'adolescent. ARMAND COLIN Editeur. Paris. 1994. Page 89.

<sup>3</sup> - فتحي الديب: الاتجاه المعاصر في تدريس العلوم. دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية. 1987. ص ص 130 – 138.

<sup>4</sup> C LAUDINE TEYSSERRE & PIERRE MARIE BAUDONNIERE: Apprendre de 0 à 4 Ans. Edition Flammarion. France. 1994.page83

<sup>5</sup> ROGER LECUYER & MARIE-GERMAINE PECHEUX: Le Développement Cognitif Du Nourrisson. Edition NATHAN. France. TOME 1. 1994. Page 202.

<sup>6</sup> SERGE. L & RENE. D & MICHEL Souté : Nouveau Traité De Psychiatrie de L'Enfant à L'Adolescent. Presse Universitaire De France. (P.U.F). 2° Edition. 1995.. 688.

فالأُسرة التي يسود فيها التفاهم وتمنح لأطفالها فرص التعلّم والتعبير عن أنفسهم وتوفير لهم ما يحتاجون إليه للمعرفة فإنّها تساهم في نمو ذلك. ويضيف فيجوتسكي أنّ استخدام الإشارات وفي مقدّمها الإشارات الكلامية تؤلّف نواة الوظائف النفسية العليا.

إنّ معاملة الوالدين لأطفالهم لها الدور الحاسم في النمو النفسي والمعرفي وفي تكوين شخصية الطفل فيما بعد. وأنّ وجود الأبوين معا ضرورة للنمو السليم للطفل ويؤكد ذلك كل من هيتينك و جون أدولف HUTING et JEAN ADOLPHE: "أنّه من خلال وجود الأبوين معا تشكل عوامل نضج الأنا وشروط وأساليب التشكيل الاجتماعي وأنّ الأسرة مركز غني للتعلّم ، من حيث الوظائف البيولوجية إلى جانب نموذج الاتصال والقواعد المتعلقة بين الناس و السلوكات المقبولة والمسموح بها أو الممنوعة من طرف المجتمع"<sup>2</sup>.

أما في نظر فيجوتسكي يتمثل الأشكال الاجتماعية للسلوك لتصبح من مقومات شخصيّته في المستقبل. وأنّ أيّ امتلاك للوسائل الخارجية لا يحدث إلاّ عبر الراشد الذي يتوسّط علاقة الطفل بالواقع الخارجي، فالراشد يقدّم للطفل طائفة من الأشياء والموضوعات مع الإشارات إلى مضمونها الذي يلبي الحاجة الموضوعية إلى الاتصال بالآخرين والتعامل معهم ثم يشرع الطفل في استخدامها للتعامل مع الغير. نستنتج من خلال هذا أن للأسرة دور فعال في حياة الطفل وفي الجوانب المعرفية والنفسية والعلائقية والبيولوجية... ولا يمكن أن تعوّضها أي مؤسسة إجتماعية أخرى مهما توقّرت على الوسائل المادية والبشرية ومهما حاولت الرقي إلى مستوى الأسرة فلن تصل لذلك، وهذا راجع لمفعولها في حياة الطفل يكون محدودا ولا سيّما في الجوانب النفسية كالعطف والحنان والدفء الأمومي الذي يتلقاه الطفل من أمّه، ويؤثر هذا بدوره على نمو الجانب المعرفي للطفل.

وفي هذا الصدد نجد أنّ كلّ من عبد المنعم المليجي وحلمي يعتقدان: "أنّ التوتر النفسي يعطلّ ظهور جزء من الإمكانيات العقلية. كما يضيفان أنّ الأطفال الذين حرمتهم الظروف من الحياة في كنف الأسر ونشأوا في مؤسّسات فيتأخرون في الكلام عن أقرانهم وتكون مفرداتهم أقلّ عددا من مفردات أقرانهم الذين لم يحرموا من الأسر حيث يحظى الطفل بقسط أوفر من العناية الفردية، ويتعلّم الأطفال من بعضهم البعض"<sup>3</sup>.

نستشف مما سبق أنّ الأسرة لا يمكن تعويضها بأي مؤسسة مهما وقّرت لها الإمكانيات المادية والمعنوية لا يمكنها أن توقّر الجوانب النفسية كالحب والعطف والحنان... وهذه الوظائف النفسية هي حجر الزاوية في نمو الطفل في جميع جوانبه بما في ذلك الجانب المعرفي. ولذا فإنّ الطفل الذي يعيش في أسرته الطبيعية يشعر بالأمن والراحة والإطمئنان النفسي لكونه دائما في

<sup>1</sup> ت. س. فيجوتسكي : اللغة و التفكير . ترجمة طلعت منصور. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1. 1976. ص 78.

<sup>2</sup> M. HUTING & J. ADOLPHE ROUDALE: Introduction à la Psychologie de L'Enfant. CO-dirigé . Editeur . 3 ° édition. Page 626

<sup>3</sup> عبد المنعم المليجي ، حلمي المليجي: النمو النفسي. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. الطبعة 5. 1977. ص 214 \_ 217

علاقة مع أمه حتى ولو غابت عنه لبعض الوقت فهو يشعر بها، وما ينجم عنها من حنان وعطف .. وهي جوانب نفسية تساهم بفعالية في نموّه السليم.

وفي هذا المجال نجد بحوث هارلو (1970) HARLOW<sup>1</sup>: "أنّ الإتّصال اللّمسّي بالأمّ يؤدي إلى المتعة وتكون له قيمة إثباتية" وأنّ جلّ الباحثين في مجال نمو الطفولة منهم جون ديوي ، فرويد ، برونر ، كلود ماير (1970) يؤكّدون على أنّ السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل تشكّل فترة حرجة في نمو الطفل العقلي ، ولذا فإنّ الاهتمام بالطفولة يشكّل العنصر الأساسي للنمو السليم للطفل في جميع الأبعاد النفسية والوجدانية والاجتماعية ...<sup>2</sup>

مما سبق نستنتج أنّ جو الأسرة وما تمنحه للطفل من حنان وعطف ورعاية لا تعوّضه أية مؤسّسة مهما توفّرت على الجوانب المادية الراقية.

### دور الأب والأم في عملية النمو المعرفي

يؤكّد علماء النفس والتربية على دور كل من الأب والأم في نمو لغة الطفل التي بفضلها يتمكّن من التوافق مع متغيّرات المواقف والأحداث. كما أنّ لدور الوالدين أثر بالغ على النمو المعرفي للطفل رغم أنّ تأثير الأم يكون واضحاً على غرار تأثير الأب، رغم أنّ للأب دوراً عظيماً في تكوين شخصية الطفل السوية ويؤثر على الثروة اللغوية والمعرفية للطفل، وأنّ الأب يتقدم كشريك لغوي في إرغام الطفل على استخدام اللغة السليمة وأنّ الآباء يختارون مواضيع المحادثة والحوار. ويرى كل من بارتون وتوماسيلو (1994) BARTON et TOMASSELLO: أنّ الأب يهتم بوسائل الاتصال لتزويد الطفل بها ، والآباء أقلّ حضوراً من الأمّهات بالقرب من الطفل وأنّ الطفل بصفة أولية يحاول تقليد لغة الأم ويتمثلها ، وأنّ الأب يساهم في نمو الرصيد اللغوي عند الطفل .

كما يلعب الأب دوراً فعالاً في النمو الشخصي الاجتماعي للطفل خلال المرحلة العمرية الأولى من حياة الطفل وهذا بغية التأكّد من التشكيلات والاندماج الاجتماعي، وكذلك تكوين الفردية وبناء الذات وهذا بفضل ما تمنحه التنشئة الاجتماعية التي يكتسبها الطفل من الأسرة مع تمثيل مكانة الأب فيها.

كما يلعب الأب دوراً فعالاً في التنميط الجنسي للطفل وتكوين شخصيته، وأنّ الطفل يقلّد المواضيع من نوع جنسه. وأنّ وجود الأب يؤثّر بصفة مباشرة على نمو الطفل، وأنّ الطفل يقارن بين الأم والأب كموضوع خصوصي<sup>3</sup>. إضافة إلى ما سبق فإنّ الأب يلعب دوراً حاسماً في النمو المعرفي لدى الطفل وهذا ما أثبتته الدراسات التي قامت حول تأثير الوالدين على النمو الثقافي للطفل وخاصة في إطار الفشل المدرسي المرتبط بغياب الأب. فمنذ 1970 أهتم فريق من

<sup>1</sup> هارلو نقلاً عن حامد زهران عبد السلام: علم النفس التم (مرجع سابق). ص 151.

<sup>2</sup> عبد المجيد نشواني: علم النفس التربوي. دار الفرقان. بيروت، لبنان، الطبعة الثانية. 1985. ص 149.

<sup>3</sup> JEAN LE CAMUS et FLORENCE Labrell : Le Rôle du Père dans le Développement du Jeune Enfant Edition Nathan . France. 1994. P P 58 - 76.

الباحثين الأمريكيين بدراسة الخصائص الكمية والنوعية للعلاقة أب/ طفل وتأثير ذلك على النمو المعرفي والنجاح المدرسي.

وأثبتت النتائج أنّ التحرر الوظيفي المرغوب من طرف الأب يمنح بصفة عامة النمو المعرفي للطفل وبالخصوص نوع معرفي تحليلي. وأثبتت من جهة أخرى أنّ غياب الأب تنتج عنه آثار ومتغيرات على النجاح الدراسي وفقا للوجهات العامة للغياب قصيرا أو طويلا أو بسبب طلاق أو موت. وكذلك جنس الطفل والوضع الثقافي للأم. ويعتقد أنّ وجود الجد قبل سن خمس سنوات يرحّب النجاح الدراسي للتلميذ في حالة غياب الأب، إضافة إلى تشجيع الأم للطفل في غياب الأب تساهم في نجاحه 1 .

تري كلودين تسدر (1994) CLAUDINE Teyssedre: " أن الأمهات يعرفن أنّ أطفالهنّ . الرضع . منذ الولادة قادرين على الرؤية والسمع والإحساس رغم أنّ رؤيتهم تكون غير واضحة إلا أنّ الطفل يتعرّف على وجه الأم حين يكون يرضع مما ينجم عنه ملاقة نظر الأم بنظر الطفل ، وأنّ الجهاز السمعي للرضيع يكتمل من حيث الجهاز الفيزيولوجي والوظيفي وذلك منذ أسابيع قبل الولادة .

كما أنّ الطفل يتمكّن من التعرف على رائحة أمّه من رائحة امرأة أخرى حين بلوغه 21 يوم من ميلاده "2.

تعتبر الأم الشخص الأكثر تأثرا على الطفل منذ ميلاده، فهي تمثل مصدر التغذية والحنان والعطف والسهر على راحته وتلبية حاجاته المادية والمعنوية. وتوصّل كلوس وكنال Klaus et Kannel في دراستهما أنّه تتولّد لدى الأم خلال الساعات الأولى من الوضع وضعية نفسية/عاطفية خاصة تظهر كمرحلة حساسة خلال تكوين وبناء علاقة الأم/الرضيع وتنمو وتتطور خلال السنوات اللاحقة على نوعية العلاقة أم/طفل بل على نمو الطفل بصفة عامة 3 .

وفي هذا المسار نجد كلّ من بياجيه وفالون وسبيتز يولون أهمية كبيرة للعلاقة القائمة بين الطفل وأمّه وأنّ هذه العلاقة هي التي تحدّد وتتحكّم في مصير نمو الطفل وكلّ انفصال أو اضطراب في هذه العلاقة يؤثّر على الطفل وتنجم عنه اضطرابات جد خطيرة في كلّ أبعاد النمو.

<sup>1</sup> JEAN LE CAMUS et FLORENCE Labrell : Le Rôle du Père dans le Développement du Jeune Enfant Edition Nathan . France. 1994. P P 7 – 9

<sup>2</sup> CLAUDINE Teyssedre et P.M. BAUDONNIERE : Apprendre de 0 à 4 ans Edition Flammarion. France. 1994. P 49

<sup>3</sup> S . LEBOVICI et R. DIATKINE et M. Soulé : Nouveau Traité de Psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent. Presse Universitaire de France (P.U.F) 2 ° Edition. 1995. page 320.

ويمكن القول أنّ علاقة أم/طفل تبدأ منذ مرحلة الحمل فقبول أو رفض الحمل وأي مرض نفسي أو عقلي أو عناء أو اضطراب تتعرض له الأم أثناء الحمل يؤثر على مسار نمو الجنين بل الرضيع ثم الطفل مستقبلا.

يرى هارتنك **Michel Hurting**: "إنّ العلاقة الأولى مع الطفل مهمة جدا في تحديد الأنا ومسار نمو الطفل وتتعلق بها الصحة النفسية والعقلية أو اضطرابات خطيرة أخرى مرتبطة بانفصال مبكر في علاقة أم/طفل"<sup>1</sup>.

كما أوضحت بحوث هارلو (1970) **HARLOW**: "أنّ الاتصال اللّمس للطفل بالأمّ يؤدي إلى المتعة وتكون له قيمة إثباتية" وهذا يؤكد على العلاقة القائمة بين الطفل وأمه في المرحلة الأولى من حياته وأنّ قيامها بتحقيق ما يحتاجه الطفل فهو سلوك تقوم به تلقائيا كلّ أم مؤهلة بما فيه الكفاية حسب ونيكوت **WINICOTT**.

إنّ الطفل لا يمكن إشباع حاجاته المادية والمعنوية إلّا من خلال الأم في مراحل حياته الأولى، ولذا فالأمّ تحلّ محلّ أناه الذي يكون في طريق التكوين، وبالتالي تكون الوسيط بينه وبين العالم الخارجي الذي يمثله في نفس الوقت. كما أنّ أول موضوع يتعلق ويتعرف عليه هو وجه الأم ثم التعرف على الأب ثم الإخوة وهذا يتقدم في السن.

ويرى بياجيه أنّ اللّغة وسيلة إستعمال ضرورية لتحلّ محلّ البنيات. بينما يرى مولان (1989) **MULIN** أنّ الرضّع ينظرون إلى وجه الأمّ المستقر أكثر من وجوه نساء أخريات. وأنّ الأمّ تشجع طفلها على تقليد بعض الأصوات القائمة بينها وبينه وتتّجه نحو لغة متخصصة في تكوين نظام من الرموز خاص بهما، وفي غالب الأحيان غير مفهوم لدى الغير. وأنّ لغة أم/طفل متخصصة وتمتاز بصعوبة الدراسة.

يرى كلّ من روجرو بيشو **Roger et Pecheux** (1994): "أنّ الرضّع يفهمون الكلمات الموجّهة إليهم قبل أن تكون لهم القدرة على إنتاج نفس الكلام المماثل"<sup>2</sup>.

إنّ وجود الأمّ ضروري في تربية طفلها فانفصالها أو غيابها عنه يؤدي إلى توقف أو تأخر في النمو بصفة عامة بما في ذلك النمو المعرفي. فالأمّ تقوم بالمحادثة مع طفلها وتشجيعها له والدفع به لتكوين علاقات مع الغير عن طريق الاندماج والتفاعل والاحتكاك بالآخرين مع تصحيحها لأخطائه بصفة عامة.

كما أنّ الأمّ تتحدّث لطفلها بكلّ طلاقة محاولة توصيل له الفكرة وفقا للموقف أو الحدث. وأنّ الطفل مطالب بفهمها حتى تنمو قدراته اللّغوية والمعرفية.

<sup>1</sup> M. Hurting et J. ADOLPHE Pierre Margada: Introduction à la PPsychologie de l'enfant. Co-dirigé . Editeur 3 ° édition. P 304.

<sup>2</sup> Roger LYCUER ET M. G. Pecheux : Le Développement Cognitive Du Nourrisson. Tome 1. Edition Nathan. France. 1994. Page 65.

إنّ وجود الطفل داخل الوسط العائلي يساعده على النمو والتوافق السليم، وأنّ الوسط العائلي الغني بالمتغيرات الثقافية كالمكتبة والصحف والراديو والتلفزة وإدماج الطفل برياض الأطفال أو بالكتاتيب القرآنية أو بفرق رياضية.. فهذا الوضع له تأثيرا إيجابيا على النمو المعرفي والنفسي للطفل. وهذا ما يفتقد له الطفل المسعف بالمؤسسات الإيوائية سواء على مستوى دار الحضانة أو حي الطفولة أو نادي البنات رغم وجود تلفاز.

إنّ معظم الأطفال قبل إلحاقهم بالمدرسة يمرّون سواء برياض الأطفال أو بالكتاتيب القرآنية أو يدمجون في فرق أو زمر فنيّة أو رياضيّة والغرض من ذلك هو إدماج الطفل ليتفاعل ويختلط مع الغير فينجم عن ذلك نمو ثروته اللغوية والمعرفية، وهذا عكس الطفل المسعف الذي يقضي كلّ وقته بالمؤسسة الإيوائية سواء بدار الحضانة إن كان ليزال لم يبلغ السادسة من العمر. أما إذا بلغ من العمر ست سنوات أو تجاوزها فإن كان ذكرا فينقل إلى حي الطفولة المختص برعاية الأطفال الذكور البالغين من العمر ما بين الست سنوات والتاسع عشرة (6) - (19) سنة. فهذا الطفل يقضي كامل أوقاته داخل الحي ما عدى الخروج إلى الدراسة. أما إن كانت بنتا وبلغت سن ست سنوات فتحال على نادي البنات بمسرغين وتبقى به إلى غاية سن التسعة عشر سنة من العمر، وفي هذه الحالة فإن الطفل المسعف يعيش في بيئة فقيرة من المتغيرات والعلاقات الاجتماعية والعاطفية والعلائقية وهذا مما ينعكس على نموهم النفسي والمعرفي.

إنّ اندماج الطفل في وسط غني بالمتغيرات يخلق لدى الطفل التعمّد على حب الاستطلاع وعلى الاختلاط والتعلّم الجيّد والاحتفاظ بما تعلّمه واكتساب اللّغة الجيدة غير المستعملة في البيت أو في المؤسسة الإيوائية في جو من الإثارة في البيئة الغنية.

وفي هذا الصدد يؤكد فيجوتسكي على أنّ الكائن البشري أوّلا لابد أن يتثقف ويتكون وأنّ كلّ وظيفة نفسية عليا تظهر مرتين خلال نمو الطفل. فأوّلًا تظهر كنشاط جماعي اجتماعي وهذا كوظيفة داخلية نفسية ثمّ تظهر المرّة الثانيّة كنشاط فردي بمثابة ملكية داخلية لتفكير الطفل<sup>1</sup>.

كما تؤكد الباحثة تيزارد (1987) على فائدة رياض الأطفال بالنسبة للأطفال الأقل ذكاء من حيث أنّهم يتعرفون على المهارات الأساسية قبل أن يدركوا معنى الفشل لأنّهم يتعرفون على التعليم بإستمتاع.

إنّ قدرة الطفل على استعمال اللّغة تمكّنه من نقل أفكاره إلى الغير وهذا نتيجة لمحصوله اللّغوي لكن ليس بنفس الصيغة التي ينقل بها الراشد ذلك رغم أنّ الطفل

<sup>1</sup> - Jean Le Camus et Florence Labrall : Le Rôle du Père dans le Développement du Jeune Enfant. Edition Nathan, France. 1994. p110. <sup>2</sup> Jean Le Camus et Florence Labrell : Le Rôle Du Père Dans Le Développement Du Jeune Enfant. Edition Nathan. France .1994 .P 11.

يصبح قادرا على استخدام اللّغة بصفة عادية منذ سن ثلاث سنوات وهذا من خلال المحادثة لكن تبقى لغة الراشد راقية عنها لكونه له الإمكانيات اللّغوية الراقية وله القدرة على التعبير بشتى الصيغ كتحريك العواطف مثلا أو استثارة الأفعال 1 .

قامت الباحثة سبلاين SPIELREN بتحليل لغة الطفل في مراحلها المبكرة. فاعتقدت أنّ لفظ (ماما) الذي يستخدمه الرضيع في نداء الأم أو المرضعة يتألف من أصوات شفوية وهي امتداد لعملية الرضاعة. وهو أمر يوجه إلى الشخص الوحيد الذي يستطيع إرضاء هذه الرغبة ثمّ أنّه مجرد النطق به له أثر مهدئ ويحدث في نفسية الطفل نوع من الرضا الوهني وهذا الأمر يفقده طفل المؤسسة الإيوائية.

بناء على ما سبق، يمكن القول أنّ الأطفال سواء كانوا يعيشون في أسرهم الطبيعية أو في أسر متكفلة بهم أو في مؤسسات إيوائية يمرون بنفس النمط في التلفظ اللغوي، إلا أنّ الأمر يتركز على السن وذلك أنّ هناك فرق بين من يعيش في الأسرة الغنيّة بالمثيرات والمحبة والتفاعل فتزداد ثروته اللّغوية، هذا بالإضافة إلى وجود الأم التي تؤثر عليه ويتعلّم منها اللّغة والمعرفة.

يتعاطف دور اللّغة في نمو الإمكانيات المعرفية للطفل مع اتّساع دائرة نشاطه وزيادة حجم علاقاته ونشوء مضامين واتجاهات جديدة لها إلا أنّ عكس ذلك عند الطفل المسعف الذي يعيش في بيئة فقيرة من كلّ المثيرات أو وسائل الإعلام أو الصحف أو الكتب أو الإدماج بفرق رياضية أو فنيّة أو الخروج إلى المجتمع بمفهومه الواسع والاحتكاك والتفاعل مع الغير. وعلى هذا الأساس فإنّ الطفل المسعف يعاني من فقر لغوي ومعرفة بصفة عامة.

وفي هذا المجال يعتقد أصحاب نظرية التعلّم الاجتماعي بندورة وولتر **Bun dura et Walter** أن جزءا كبيرا من سلوك الطفل يتمّ عن طريق التقمص والتقليد وليحدث ذلك لا بدّ من توافر أو حدوث أربعة عوامل:

- 1: يلاحظ الطفل ممتلكات الآخرين خاصة الأب و الأم ويرغب في الحصول عليها .
  - 2: يعتقد الطفل أنّ في الحصول على هذه الصفات يصبح فردا محبوبا .
  - 3: يحاول الطفل التشبّه ببعض هذه الصفات .
  - 4: التعرف على امتلاك هذه الصفات حسب ما تسمح به المعايير الاجتماعية .
- وفي هذا الصدد يرى بياجيه أنّه لا يمكن لطفلين - متحدث ومستمع - أن يتفاهما إلا إذا كان بينهما عامل مشترك ذهني يتطابق فيما بينهما، وذلك أنّه لا يستطيع أن يتفاهما الطفلان إلا إذا كانت لهما أفكار مشتركة واهتمام مشترك، وبغير هذا لا يكون لكلام المتحدث معنى عند السامع 2.

<sup>2</sup> - جان بياجيه: اللغة والتفكير عند الطفل. ترجمة أحمد عزت راجح وأمين مرسي قنديل. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954. ص 157.

يرى سميث واطس Smith Watts أنّ عدد ألفاظ الجمل يزداد بازدياد العمر. ويقترح المعدلات التالية:

معدل الكلمات في الجملة لواحدة	العمر	
	الشهر	السنة
1	6	1
2 - 1	-	2
3 - 2	6	3
4	6	4
5 - 4	-	5

وتوصّل إلى نتيجة أنّ البنات يصلن إلى استعمال جمل أطول من الصبيان وهنّ أكثر ثراء في اللّغة. ويرى أنّ الطفل يلتحق بالمدرسة وفي رصيده اللغوي يقدم ما بين 2000 إلى 3000 كلمة<sup>1</sup>. وفي هذا الصدد يرى حنا غالب: " أنّ هناك عوامل مؤثّرة في نمو اللّغة عند الطفل، ويتمثّل ذلك في مستوى الذكاء، والبيئة الغنيّة بالمثيرات الثقافية، وأساليب الكلام عند الراشدين القائمين في هذه البيئة، والتشجيع الذي يناله الطفل على استخدام اللّغة الجيّدة وموقف الراشدين من الألفاظ والجمل التي يستعملها الطفل في التعبير". فينجم عن هذا التفاعل بين الطفل والكبير التحصيل الجيّد للّغة وثقافة المجتمع التي تساهم في النمو المعرفي لديه.

وتجدر الإشارة إلى العلامة أبي حامد الغزالي (1059 م . 1111 م) يرى أنّ الطفل يولد ناقصا غير مكتمل ولديه القابلية للنمو والتطور حسب قوّة العوامل المحيطة به لنمو جسمه وتهذيب أخلاقه والتغذية بالعلم، وأنّ اللّعب يساعده على ذلك ويجنّبه الملل من الدراسية ". نستنتج أنّ الطفل عن طريق الاتصال الاجتماعي يزيد من نموه المعرفي ، وأنّ البيئة الغنيّة بالمثيرات تساهم مساهمة فعّالة في إثراء معارف ولغة الطفل .

كما أنّ لوجود الوالدين بالقرب من الطفل يؤثر بصفة إيجابية على نموه بصفة عامة نفسي واجتماعي، معرفي، جسدي، عاطفي، علائقي، عقلي، وجداني ... وينمو نموا كاملا نتيجة الاهتمام والعناية والحب والعطف والمجالسة والمحادثة والإنصات له تدفع بنموه المعرفي إلى النمو المستمر.

وأُسفرت هذه الدراسة عن استنتاجات عامة واقتراحات.

الاستنتاجات العامة.

<sup>1</sup> - M. E. Smith: An Impression of the Development of the Sentence and the Extend of Vocabulary of Young Children. Univ . IOWO. Stud Child Welfare. 1992. P P 130 J 138.

- إن النمو السليم ولا سيما نمو المعرفة عند الطفل له علاقة بالوسط الاجتماعي المعاش، فالبيئة الأسرية تساعد على ذلك وهذا ما أسفرت عنه الدراسة.
- إن احتكاك الطفل بوسطه الأسري يمكنه من النمو السليم بصفة عامة والنمو المعرفي بصفة خاصة.
- وجد فرقا دالا في عملية النمو المعرفي بين الذكور والإناث لصالح الإناث وذلك يرجع لإحتكاكهن بأمهاتهن أكثر من الذكور.

#### الاقتراحات

1. يجب على الأسر إثارة دافعية الطفل.
2. إعادة النظر في وضع الأسر في مجال التربية والتكوين.
3. تنظيم برنامج لتوعية العائلات وخاصة الأم عن مدى فعاليتها في تنمية معارف طفلها.
4. إنشاء مؤسسة أو مركز يساعد الأسرة في تربية وتعليم وتثقيف أطفالها.

#### المراجع:

1. أ . أ . أولينسكا يا: علم نفس الطفل. ترجمة بدر الدين عامور وعلي منصور، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الطبعة الأولى. 1980.
2. اقبال محمد بشير، سلمى محمود جمعة: الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة. المكتب لجامعي الحديث، الطبعة الأولى، الإسكندرية.
3. مصطفى فهمي: سيكولوجية الطفولة والمراهقة. مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة.
4. أكرم نشأت إبراهيم: علم الاجتماع الجنائي. الطبعة الثالثة، بغداد. 1970.
5. حنا غالب: التربية المتجددة وأركانها. بيروت، لبنان، 1965.
6. حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، عالم الكتب، الطبعة الرابعة.
7. جان بياجيه: اللغة والتفكير عند الطفل. ترجمة أحمد عزت راجح وأمين مرسي قنديل. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954. ص 157.
8. جيروم برونر: عملية التربية أو نحو تربية سليمة. ترجمة سامي عاشور. مكتبة النهضة المصرية.
9. مصطفى فهمي: سيكولوجية الطفولة والمراهقة. مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة.
10. نعيم الرفاعي: الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف، دمشق، الطبعة الثالثة.
11. Roger LYCUER ET M. G. Pecheux: Le Développement
12. Cognitive Du Nourrisson. Tome1. Edition Nathan. France. 1994.
13. Jean Le Camus et Florence Labrall: Le Rôle du Père dans le Développement du Jeune Enfant . Edtion Nathan. France. 1994
14. M . Hurting et J . ADOLPHE Pierre Margada: Introduction à la PPsychologie de l' enfant . Co-dirigé . Editeur 3 ° édition .
15. CATHERINE .T & MICHEL . G: Introduction à la Psychologie du Développement Du bébé à l'adolescent . Armand Colin . Editeur Paris . 1994 .
16. NORBERT SILLAMY: Dictionnaire de Psychologie . AK . Bordas . Paris 1980.